

مجالس الأديب:

في إحدى ليالي رمضان

للأستاذ كامل كيلاني



[ثبت فيما يلي نص الحوار الطريف الذي دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها في إحدى ليالي رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى]

١ - المعري يصوم ويصلي

عبد الفتى : بمناسبة شهر رمضان ، هل كان كبار الشعراء - يا أستاذ كامل - يصومون ؟ وهل كان أستاذك المعري يصوم ؟

كامل : ويصلي أيضاً .

عبد الفتى : إذ يقول في الصلاة يا أستاذ كامل .

كامل :

« وأعجز أهل هذي الأرض غاوي أبان المجزع عن خمس فرضته » ولكنه يريد بها صلاة خاصة لوجه الله ، وإلا حلت اللعنة على صاحبها .

عماد : إذ يقول ؟ يا أستاذ كامل .

كامل :

« إذ أرام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقرب » ولن يصح تدبُّر الإنسان - فيما يرى - إذا اقتصر على الصلاة والصوم ، دون أن تخلِّص نفسه من أرجاسها ، وتكفَّ أذاها عن الناس .

عبد الفتى : وما الذي يحضرك من شعرك يا أستاذ كامل ؟

كامل :

« ما الدين صومٌ يذوب الصائمون له

ولا صلاةٌ ، ولا صوف على جسدي

وإعما هو ترك الشر مطرحاً

ونفصك الصدر من قل ومن حسد»

عماد : أو يقول ؟

كامل : ما أكثر ما يقول في هذا المعنى - يا صاحبي -

وما أروع قوله في هذا الباب :

« إذا الإنسان كف الشرعي فسقياً - في الحياة - له ورعياً

ويدرس - إن أراد - كتاب موسى

ويضم - إن أحب - ولاء شعياً »

عبد الفتى : فهل كان يصوم يا أستاذ كامل ؟

كامل : كان صائم الدهر ، يصوم عن الأكل كما يصوم

عن الأذى والشر .

عبد الفتى : وماذا قال في هذا الباب يا أستاذ كامل ؟

كامل :

« أنا صائم طول الحياة ، وإعما

فطري الحرام ، وذلك حين أعبيد »

٢ - عقبة المعري

عماد : إذن يا أستاذ كامل كيف تملل اتهامه في دينه ؟

كامل : لم يتهمه في دينه إلا قاصراً أو مقصراً في

درسه ، أو راعب في إذاعة مبادئ الشك على لسان غيره ،

أو متسرِّع في فهم مرامييه ، أو رجل يحسن الظن بآراء بعض

الباحثين ، فلا يمتنى نفسه بمناقشتها وتحريضها ، أو ببناء برود

ما يسمع بلا تمقل .

عبد الفتى : فكيف تملل قوله :

في القدس قامت ضجة ما بين أحمد والسيح

هَذَا بناقوس يدق وذا بمثذنة يصيح

كلُّ يملل دينه باليت شعري ما الصحيح ؟ »

كامل : إن السخرية واضحة في الأبيات كما ترى ، ولعلكم

تذكران الآية الكريمة : « كل حزب بما لديهم فرحون » كما

تذكران الآية « وإنا - أو إياكم - لعل هدى أو في ضلال

مبين » . ولن يدور بخلد كائن كان : أن الرسول (ص) كان

شاكراً في أنه على هدى ، وأن مجادليه في ضلال مبين .

عبد الفتى : فكيف تملل اضطرابه وتناقضه في شعره

يا أستاذ كامل ؟

على هامش الففران ، وحديقة أبي العلاء وربما أنجزت كتاب « عقيدة المري » وأعدته للطبع بمد قليل .

حسبكا الآن قوله في رسالة الففران ، ولعله — على وجاهته — أبرع ما رأيت في هذا الكتاب ، لأنه يقرر في بلاغة علانية فائقة : أن الإنسان مؤمن بفرزته ، وأن الله سبحانه قد وهبه فطرة مؤمنة نعمة — إذا لاذ بها — من الرزق والإيجاد ، كما يعصم الحصن الحصين من بلوذه ونحميه من المنغرين وإليك ما قال :

« والتأله (بمعنى : الإيمان بالله) موجود في الفرائز ، يكون لمن كالألجاء الحرائز (بمعنى : كالحصون الحصينة كما تملنان) » وهذه الجملة البارعة يلتقي المري بما أبدعه لامرتين في قصيدة « الخلود » وهي من غرر الشعر الفرنسي وروائمه .

كما يلتقي مع شكسبير في قوله : « كل ما نلقاه حسن إذا حسنت خاتمه » . فيقول :

« إن ختم الله بفقرانه فكل ما لقيه سهل » لا أدري كيف يجرو منصف على اتهام مثل هذا الرجل الطاهر في عقيدته . إلا ما صدق المثل :

« رميتي بدائها وانسلت »

ورحم الله ابن الرومي القائل :

ما خمدت نارى ، ولكنها أفت نفوساً نارها خمدته
قد فسدت في دهرنا أنفس تستبرد السخنة لا الباردة

٤ — سبطاه الشعر

عبد الفنى : هل تحسن نظم الشعر وأنت صائم يا أستاذ عماد؟
عماد : كلا فإن - طوة الجوع تكفل هدم كل بيت من
الشمر أجاول بناءه . أو لعل شيطان شعري يسجن في شهر رمضان
مع سائر إخوانه الشياطين ، وإن كنت أنا نفسى مثت دور
شيطان في هذا الشهر المبارك .

عبد الفنى : وكيف كان ذلك يا أستاذ عماد ؟

عماد : في ليلة مظلمة من أحد رمضانات الحرب ، التي
حرموا فيها النور عدت إلى منزلى متأخراً وكنت مرتدياً بذلة
سوداء ، وبينما أنا واقف أمام الباب والشارع مقفر أقبل شخص

كامل : لم يضطرب أبو العلاء ، ولم يتناقض . ولكن
اضطرب في فهمه المتسرعون وتناقضوا ، ورأى بعضهم — في
مرآة نفسه المضطربة — صورته ، تحسبها صورة المري ، وهو
منها يرى .

على أن المتخلصين في فهمه ، بمن رموه بالتناقض ، نسوا
الحكمة التي درسوها في مستهل حياتهم ، وهي : « لكل مقام
مقال » فكان مثلهم مثل من بُنعت إلى رجل : فيسمعه مرة
يقول لولده مفرحاً : « لا شك عندي في أنك باذل في دروسك
يا ولدى قسارى جهديك وسيكون لك إن شاء الله شأن عظيم .
ولتبلفن مجديك أعلى المراتب وأسمائها » .

ثم تسمه مرة أخرى يقول له :

« لن تنجح يا ولدى مادمت مستملاً لكسلك ، متبادياً في
غيبك ، مسترسلاً في تهاونك » أو يقول له غاضباً ثائراً : « والله
لا أفلحت أبداً » .

فبزعم أن الوالد متناقض مضطرب ، لأنه يتمنى لابنه النجاح
مرة والاختفاق مرة أخرى ، وينسى أنهما أسلوبان متباينان يهدفان
— على اختلافهما — إلى غرض واحد : هو حفز الولد إلى
الخير . وكلاهما يعبر عن حب أبيه لولده وحرصه على نجاحه .

وما أدري — أيها الصديقان — كيف يشك في صدق
إيمان هذا الرجل ، دارس متعمق حصيف ، يجمع بين الإنصاف
والإحاطة والفهم ؟

كيف يشك في حسن عقيدة من يقول :

أقر بأن لي رباً قديراً ولا ألقى بدائمه يجحد
أو يقول ويصل إلى ذروة الإبداع :

تمالى الله ، وهو أجل قدراً من الإخبار عنه بالتعالى
إلى آخر ما يقول ، فإنا بحاجة إلى أن أتولو ما يخر به شعره
وتثره من الآيات الدالة على سلامة عقيدته ، وخلصها من
الشكوك والأوهام .

٣ — الفطرة المؤمنة

وقد علمتا — يا صاحبي — أنني عرضت لهذا الموضوع
في مناسبات عدة لاسيما في رسالتي الففران والهناء ، وكتابتى